

الوافي في الوفيات

قال : ثم جاءنا الخبر بعد أيام قلائل بقتله وَكَانَتِ قتلته فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ السَّتِي أُنْشِدَ فِيهَا الشَّعْرُ . وَكَانَ قَدِ قَارِبَ الْخَمْسِينَ وَكَانَ زَوْجَ أُمِّ الْأَمِيرِ بَدْرِ الدِّينِ بَيْدَرًا وَهُوَ السَّذِي عَمْرُ الْبِيْمَارِسْتَانِ الْمَنْصُورِيِّ بَيْتِ الْقَصْرَيْنِ بِالْقَاهِرَةِ فِي مَدَّةٍ فَأَتَى بِذَلِكَ الْعَمَلِ الْعَظِيمِ وَفَرَّغَ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ الْقَرِيبَةِ وَكَانَ يَسْتَعْمَلُ الصَّنَاعَ وَالْفِعُولَ بِالْبِنْدُقِ حَتَّى لَا يَفُوتُهُ مِنْهُ هُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ فِي أَعْلَى سَقَالَةٍ أَوْ غَيْرِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ وَقَعَ بَعْضَ الْفِعُولِ مِنْ أَعْلَى السَّقَالَةِ بِجَنْبِهِ وَمَاتَ فَمَا اكْتَرَتْ لَهُ وَلَا تَغْيِيرٌ مِنْ مَكَانِهِ وَأَمْرٌ بِدْفْنِهِ . وَهَذَا الْمَكَانُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْقَبْرِ وَالْمَدَارِسِ وَالْمَأْذِنَةِ وَالْبِيْمَارِسْتَانِ لَا يُدْرَكَ بِالْوَصْفِ وَلَا يَحَاطُ بِهِ عِلْمًا إِلَّا بِالْمَشَاهِدَةِ . وَامْتَدَحَهُ مَعِينُ الدِّينِ ابْنُ تَوْلُوًّا بِقَصِيدَةٍ عِنْدَ فِرَاقِهِ مِنَ الْعَمَلِ أَوْ لَهَا مِنَ الْكَامِلِ :

أَنْشَأَتِ مَدْرَسَةً وَمَارِسْتَانًا ... لِتُصَحِّحَ الْأَدْيَانَ وَالْأَبْدَانَ .

وَامْتَدَحَهُ شَرَفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْقُدْسِيِّ وَكَانَ كَاتِبَهُ بِقَصِيدَةٍ مِمْيَّةٍ ذَكَرَتْ مِنْهَا شَيْئًا فِي تَرْجُمَةِ الْقُدْسِيِّ وَكَانَ قَدِ رَّبَّأَ أَوْ لَّا بِدَمَشْقَ عِنْدَ امْرَأَةٍ تَعْرِفُ بِسْتٍ قَجَا جَوَارِ الْمَدْرَسَةِ الْمَنْكَلَانِيَّةِ وَانْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ وَتَعَلَّمَ الْخَطَّ وَقَرَأَ الْأَدَبَ وَاتَّصَلَ بِالْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَلَاوُونَ الْأَلْفِيِّ فَلَمَّا تَمَّ لَكَ تَقَدُّمُ عِنْدِهِ . وَعَزَّ الدِّينُ أَبِيكَ الشَّجَاعِي السَّذِي عَمَلُ شَدِّ الدَّوَاوِينِ بِمِصْرَ أَطْنَهَ كَانِ مَمْلُوكَهُ وَأَعْلَمَ . وَفِي الشَّجَاعِيِّ يَقُولُ عِلَاءُ الدِّينِ الْوَدَاعِي وَقَدِ وَسَّعَ الْمِيدَانَ بِدَمَشْقَ أَيَّامَ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ مِنَ الْكَامِلِ :

عَلِمَ الْأَمِيرُ بِأَنَّ سُلْطَانَ الْوَرَى ... يَأْتِي دَمَشْقَ وَيُطَلِّقُ الْأَمْوَالَ .

فَلَأَجَلَ ذَلِكَ زَادَ فِي مِيدَانِهَا لِتَكُونَ أَوْسَعَ لِلْجَوَادِ مَجَالًا .

وَفِيهِ يَقُولُ وَقَدِ أَمْرٌ بِدَمَشْقَ أَنْ لَا يَلْبَسَ النِّسَاءُ خِفَافًا وَلَا عَمَائِمَ مِنَ الْمَجْتَثِ :

هَذَا الْأَمِيرُ غَيْرُورٌ ... لِأَنَّهُ قَدِ أَزَالَ .

عَمَائِمًا وَخِفَافًا ... عَلَى النِّسَاءِ ثَقَالًا .

وَعَارَ لِمَا تَبَرَّجَ ... وَالتَّزْمُنَ الْحِجَالَ .

وَالآنَ عُدْنَ نِسَاءً ... وَكُنَّ قَبْلُ رِجَالَ .

عَلِمَ الدِّينُ الدَّوَادَارِي .

سَجَرَ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ الْعَالَمِ الْمَحْدُثِ أَبُو مُوسَى التَّرْكِيُّ الْبِرْلِيُّ الدَّوَادَارِي . وَوُلِدَ سَنَةَ نِيفَ

وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ وَتَوَفِّيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ وَقَدِمَ مِنَ التَّرْكِ فِي حُدُودِ الْأَرْبَعِينَ

وَسِتِّ مِائَةٍ وَكَانَ مَلِيحَ الشَّكْلِ مُهَيِّبًا كَبِيرَ الْوَجْهِ خَفِيفَ اللَّحْيَةِ صَغِيرَ الْعَيْنِ رَبُّعَةً مِنْ

الرجال حَسَنَ الخَلْقِ والخُلُقِ فارساً شجاعاً دِيناً خيراً عالماً فاضلاً مليح الحظَّ حافظاً لكتاب الله . قرأ القرآن على الشيخ جبريل الدلاصي وغيره وحفظ الإشارة في الفقه لسليم الرازي وحصل له عناية بالحديث وسماعه سنة بضع وخمسين وسمع الكثير وكتب بخطه وحصل الأصول وخرَّج له المزي جزءين عوالي وخرج له البرزالي معجماً في أربعة عشر جزءاً وخرَّج له ابن الظاهري قبل ذلك شيئاً